

## المعاني البلاغية للنحو

ستنا محمد علي

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات - قسم اللغة العربية

## المستخلص

عالجت هذه الورقة- و عنوانها: "المعاني البلاغية للنحو"- علم البلاغة و ربطه بعلم الأسلوب، وقد ركزت الورقة على علم المعاني لارتباطه بالجملة وتركيبها، وعلم النحو، لأن العلاقة بينهما تمثل تشابكا وهذا ما ذهب إليه العلامة عبد القاهر الجرجاني الذي استطاع أن يفهم النحو فهماً صحيحاً جاعلاً من ذلك مدخلة لإعجاز القرآن الكريم، حيث تبلورت من اجتهاداته (نظرية النظم) التي ذهب فيها إلى أن النظم هو: توكي معاني النحو، وهي المعاني البلاغية التي تفيدها التراكيب، والمفردات الموظفة في نسق انطلاقاً من المقام والحال والسياق. منهج الدراسة هو: الوصفي التحليلي، هدفت الورقة إلى: ربط البلاغة (علم المعاني) بالأسلوب، وربط الظواهر النحوية بالمعاني البلاغية وذلك بالمقارنة بين قواعد النحو والمعاني البلاغية التي تفيدها التراكيب والمفردات العدولية، توصلت لنتائج أهمها: الارتباط الوثيق بين علمي النحو والبلاغة، معاني النحو تتحق بالخروج عن المألوف والوجوب إلى الجائز والنادر تحقيقاً للمقام ومراعاة لمقتضى الحال وهو الذي اتت منه المعاني البلاغية مثل: التأكيد، والاختصاص، الإنذار، والاهتمام، والترغيب، والترهيب إلى غير ذلك، كذا مثل العدول وسيلة من وسائل التجسيد للمعني البلاغي.

الكلمات المفتاحية: الانزياح السياقي الإبداع

**ABSTRACT:**

This paper which entitled "rhetorical meanings of syntax" tackled rhetoric and associates it with stylistics. The paper focused on semantics because it associates with sentence and its structure and syntax because the relationship between them is featured by intricacy as stated by Abdual Gadir Algargani who mastered Arabic grammar, utilizing it as an access for inimitability of the Holy Quran where his contributions resulted in "Nazaria Al Nouzoum". He went on to say that "Nouzoum" is to take discretion on meanings of syntax which are rhetorical meanings that refer to structures and words employed in style in terms of situation, circumstance and context. The study utilized descriptive-analytical. The study furthermore aimed at associating rhetoric (semantics) with stylistics as well as associating syntactical phenomena with rhetorical meanings by comparing syntactical rules and rhetorical meanings which refer to structures and words deviated from rule. The study reached a number of results' some of the most important ones were: there is strong connection between syntax and rhetoric. Syntactical meanings can be actualized by doing them outside the conventional practice, by rule and less permissible rule for the sake of situation and taking due account of the situation from which rhetorical meanings driven from such as emphasizing, warning, emphasis, exhortation, and intimidation and so on. Likewise, Al Audoul which refers to diversion from the language constitutes a means of embodying rhetorical meaning.

**Key words: Substitution - Context – Innovation .**

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. تناولت الدراسة : البحث في معنى البلاغة التي ارتبطت بقضية إعجاز القرآن الكريم، والتي تعددت دروبها تبعاً لمقاييس الذوق ومعايير التركيب، وهي التي تراضي الحال، وما جاءت إلا لتمييز الكلام الجيد من الرديء ، وقد حاول بعض المحدثين إمامتها على أن يحل الأسلوب محلها، لكن اتفقت الدراسة مع من قال أن ذلك لن يكون، بل إنَّ الأسلوب يتصل بها ويلتحم معها حتى يتكاملاً فالأسلوب وظيفته الاختيار، والبلاغة وظيفتها الاقتناع عن طريق التأثير والتشويق. وقد تناول البحث المعاني البلاغية للنحو الذي لم يحمد في تضييق الأبواب، وتفرغ المسائل بل تطور قديماً في المدارس النحوية ، وفي لهم الصحيح له إذ إنه لا يقتصر على معالجة الصحة والخطأ . وأهم ما تناولته الدراسة في النحو الجملة ورؤية البلاغيين واللغويين لها ، حيث أنها تتكون من كلمات لها دلالات تتأثر بالصيغة حيث لا تصلح في كل موضع في الجملة، بل الترتيب بين أجزائها حسب ترتيب المعاني في الذهن، حيث يوضع كل جزء في موضعه اللائق به مطابقة لمقتضى الحال والمقام. ثم وقفت الدراسة عند علاقة علم النحو بعلم المعاني الذي هو أقرب علوم البلاغة للنحو ، ووجد أنه لا إشكال بينهما، بل العلاقة بينهما علاقة تكامل. وهذا يبطل ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن النحو والبلاغة يجب أن يكونا علماً واحداً ، ومما درسه البحث الإبداع النحوي الذي يربط بين النظام الثابت والأداء المتغير، ولا يكون النحو إبداعاً عندما يحصر المتكلم نفسه في الصحة النحوية وإنما الإبداع الحقيقي يتجاوز ذلك إلى استعمال الأساليب الأساسية الجائزة بدلاً من الواجبة فيما يسمى الخروج عن مقتضى الظاهر أو العدول أو الانزياح أو المخالفة.

**مشكلة البحث:** هل معاني النحو هي المعاني الكامنة وراء التركيب ، أم وراء الصواب و الخطأ؟

## أسئلة البحث:

1/هل يمكن للأسلوب أن يقوم مقام البلاغة؟ / ما معنى المعاني البلاغية للنحو؟  
 2/ما أثر نظرية النظم في الدرس البلاغي؟ وما علاقة علم النحو بعلم المعاني؟ 4/ ما فائدة السياقات العدولية في تأدية المعاني البلاغية؟ وما أثر المقام في تأدية المعنى؟  
**الهدف من الدراسة:** يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ، أهمها: الوقوف عند علم البلاغة وربطه بعلم النحو والأسلوب، كما يهدف إلى ربط الظواهر النحوية بالمعاني البلاغية، وذلك بالمقارنة بين قواعد النحو، والمعاني البلاغية التي يفيدها التركيب، عندما يخرج عن الوجوب إلى الجائز حيث يفيد السياق إفادات كثيرة مراعاة للمقام والحال.

**طريقة البحث :** استقرائي وصفي تحليلي.

**مفهوم البلاغة:** البلاغة لغة، جاء في لسان العرب 'بلغ الشيء بلوغاً وبلاغة وصل وانتهى(ابن منظور 1956 مادة بلغ)(1) ويقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه وبلغ الركب المدينة إذ انتهى إليها.

**البلاغة اصطلاحاً:** كثرت تعريفاتها واختلف فيها العلماء الذين منهم الجاحظ وقد أكد ما ذهب إليه صاحب العقد الفريد حيث قال: " قيل: للفارسي ما البلاغة؟ فقال معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني ما البلاغة؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام.(الجاحظ 1388 - 1968، ص88) .

ولا تختص البلاغة بالكلام فقط وإنما تكون وصفاً للكلام والمتكلم، فبلاغة الكلام هي: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته(القزويني 1429 - 2008م ، ص 16) ، والحال هو الأمر الداعي المتكلم ليتكلم

كلاماً مميزاً يميزه ومقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التكرير يبين مقام التعريف ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، ومقام التقديم يبين مقام التأخير ... إلخ ، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقتها للاعتبار المناسب ... وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذى يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم فالبلاغة : صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب وكثيراً ما يسمى فصاحة. رغم الاختلاف بينهما عند بعض العلماء. أمّا بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ" (القزويني ، ص 17).

البلاغة وثيقة الصلة بإعجاز القرآن الكريم لذا قامت دراسات موسعة حولها، توصلت إلى أنّ المعاني البلاغية هي مجموعة من الإشعاعات والإحياءات الدلالية الخاصة المتجسدة في صياغاتها الفنية باشكالها التعبيرية الخاصة، وقد جاءت لتحليل النصوص والتعرف على دقائق المعاني. وذهب جمهور العلماء إلى أنّ البلاغة تقوم على ثلاثة محاور (أقسام) هي علم المعاني: وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التى بها يطابقه مقتضى الحال" (القزويني ، ص 18) إذن هو الأصول والقواعد التى تعرف بها أحوال الكلام العربي التى بها يطابق مقتضى الحال وفق الغرض الذى سبق من أجله الكلام. أو هو الذى يفيد المعاني الثواني التى هي الأغراض المقصودة للمتكلم. علم البيان: " هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه" (القزويني ، ص 23) ومن التعريف يتضح أن موضوعه الألفاظ العربية من حيث التشبيه والمجاز والكناية. إذن هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى. علم البديع: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة" (القزويني ، ص 208) إذن هو يدرس الوجوه والمزايا التى تزيد الكلام حسناً وحلاوة بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوحه لفظاً ومعنى لذا ينقسم إلى محسنات لفظية، ومحسنات معنوية.

ورغم أنّ بلاغة فن لتأليف الخطاب إلا أنّها اتهمت حديثاً بأنها أضاعت فهمها بالنقص المباشر كما يقولون لأنها لم تدرس كيف يقوم الإقناع، واكتفت بصياغة الخطاب الجميل ولكن هذا الكلام يفقد للصحة والموضوعية لأنّ المتكلم البليغ ما نكلم إلا ليفهم غيره ويقنعه ، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث جعلها تنظيراً وليس واقعاً ويجب أن تتسحب من الساحة العلمية، ويزعمون أنّ الأسلوب قام مقامها، رغم أنّ الأسلوبيين المعاصرين أنفسهم يؤكدون بأن كثيراً من مباحث البلاغة القديمة مازالت محتفظة بجديتها وأهميتها برغم الإساءة التى لحقت بها ويؤكدون أنّها وليدة البلاغة حيث يقول أحدهم: " إن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر" (ابو العدوس 1417 - 2006م، ص 61) والحقيقة أنّه حتى من ادعى هذا لم يستطع أن يستغنى في تحليله للنصوص من المصطلحات البلاغية، ولم يقدم بديلاً عنها، وقد دافع عنها كثير من العلماء منهم أبو موسى (ابو موسى ، 1427 - 2006م ، ص 1) الذى أكد حرصه على أن تظل الدراسات البلاغية بعيدة عن الخلط والتهجين الذى ظهر في كتابات كثيرة وأكد أنّ للبلاغة خصوصيتها لأنّها من استقراء كلام العرب، وأنّ علم الأسلوب لم يستخرج من لغتنا ولكننا نختلف معه في قوله: إنّ علم الأسلوب لم يستخرج من كلام العرب، فقد عرف العرب الأسلوب واستخدموه في كتاباتهم. وأن ما قاله غيرنا في الأسلوب قاله القدماء ، وقد أكد على وجهة نظره قائلاً "ولنا إن أردنا أن نثبت ما قاله غيرنا نرجع للبلاغة بأقسامها" (ابو موسى ص ط). وقد تحدث عن أهمية البلاغة لأنّ إعجاز القرآن ، وعلوم القرآن، والتفسير، وعلم الفقه تقوم عليها. لكننا نقول: إنّ هناك قدراً مشتركاً بين الأسلوب والبلاغة، لكن هذا القدر لا يجعلنا بأي حال من الأحوال نمحى

البلاغة وتقدم الأسلوب بدلاً عنها، بل الأفضل والأجدي أن نجعل الأسلوب علماً يدرس ، ويستفاد منه خاصة في المباحث التي يلتقى مع البلاغة، مثل المباحث التي ترتبط بالعدول، فالبلاغة لا يمكن الاستغناء عنها و الأسلوب والأسلوبية لا يستطيعان أن يقيما مقام البلاغة ، لأنها تعنى بالتركيب والدلالة على حد سواء. تستلزم الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود لكي يطابق الكلام مقتضى الحال وتميز الكلام الصحيح من غيره حتى تضمن سلامة العبارة من الخطأ والتعقيد .

وقد التقت البلاغة مع الأسلوبية على جميع المستويات، الأخباري والجمالي واتصلت بالنحو واللغة، خاصة علم المعاني الذي ألمح فيه الشيخ عبد القاهر إلى استخراج الجانب الفكري من المتكلم، وإلى الإبداع الذي يمثل عنده الاستعانة بالأدوات حيث يقول في وصف علم البيان : " إنك لن ترى نوعاً من العلم ما لقي من القيم مالم يه... فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة... منهم من لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين، ولتأ هو خبر واستخبار وأمر ونهي ويرى أن النقص لا يأتي إلا من نقص في علم اللغة...". (الجرجاني 1417 - 1997م ، ص103).

**مفهوم النحو:** بعد التوسع الإسلامي احتكت العربية بغيرها من لغات الشعوب التي دخلت في الإسلام ، وأول ما وضع من علوم هو علم النحو الذي يضبط صحة اللغة ، وقد حاز هذا العلم الاهتمام الأكبر لدى العلماء ، فالنحو عندهم هو العلم الذي يبحث عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً ، ومن النحو انبثقت مباحث البلاغة ، وعلوم اللغة الأخرى . فعلوم اللغة جميعها لا يمكن أن تفصل عن بعضها ، لكن المهم معرفة حدود كل علم ، وأهم ما يميز النحو أنه علم التراكيب (الحديثي 1999 ، ص 90) التي يعتمد عليها علم المعاني . والنحو هو الأب الشرعي للتراكيب الفنية والتعبيرات الأدبية ، ويقول أحد الباحثين " ...ولا يمكن أن يكون النحو إبداعاً لدى الباحثين الذين يحصرون أنفسهم في غاية النحو الضيقة من الإعراب والبناء فحسب" (حماسة 1420 - 2000 ، ص 29) وأفضل من عرف هذا الشيخ عبد القاهر الذي جعل علاقات الكلم جارية على علم النحو والتي بها يكون النظم حيث يقول : " الكلم ثلاثة : اسم وفعل وحرف وللتعلق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما (الجرجاني ، ص 44) . فإمكانات النحو التي تأتي من خلال هذه الأقسام لا حصر لها " فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه أو تابعاً له صفة أو توكيداً أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف أو مضافاً إليه أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ، ويكون الثاني في حكم الفاعل له، أو المفعول أو بأن يكون تمييزاً... (الجرجاني ، ص 44) من أهم الدراسات النحوية الدراسات التي قامت في ميدان الجملة، التي تدرس الكلمات في علاقتها ببعضها ببعض، ومن يتتبع مصطلح الجملة عند النحويين يجده يختلط بمصطلح الكلام ، أي أنها أبسط صور الكلام وفي ذلك يقول ابن مالك :

كَلَامًا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْتَقِمُّ وَأَسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَوْفُ الْكَلِمِ ( ابن مالك 2000، ص 17)

حيث نجده ساوى بين الجملة والكلام ، وقبله سيبويه الذي قال: "...فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك عبد الله أخوك" (سيبويه 1979م ، ص 23) وأول من استخدم مصطلح الجملة المبرد كما قال أحد الباحثين وتحدث عنها ابن هشام (ابن هشام ، 1985م ، ص 92) فقسمها إلى ثلاثة أقسام : اسمية ، وفعلية ، وظرفية. أما سيبويه فقد قال عنها: في موضع آخر: " هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر. ولم يجد المتكلم منه بد" (سيبويه ، 1، ص 23). فالمسند والمسند إليه يمثلان عمدة الكلام .

وتمثل علاقة الإسناد ونظرية العامل محورين مهمين في معرفة بنية الجملة ، ومن مكونات الجملة غير المسند والمسند إليه (الركنان) ؛ الفصلة مثل التمييز والمعاني في نظام الجملة العربية تتحقق بعلامات الإعراب التي تعد أهم وسيلة للتمييز بين المعاني . وهو خاصية تتميز بها اللغة العربية، والعامل هو الذي يولد العلاقات التركيبية بين المركبات النحوية. وقد اختلف العلماء في أنواع الجملة واختلفوا في تعريفها لأن كل عالم استند إلى معايير معينة. والمهم هنا هو دراسة الجملة على أساس تركيبى.

ونريد أن نؤكد أن الكلمة المفردة لم توضع لإفادة معناها بل لكي تأتلف مع أخواتها في جمل فتفيد إفادات كثيرة ، تتوقف على معاني النحو ووظائفه ويقول أحدهم ((وأهم عناصر الجملة هي الكلمة المفردة، والبناء الصرفي وهو الصيغة والتأليف كالترتيب والتأخير والذكر والحذف... إلخ)) (السامرائي 1423 - 2003 ، ص11).

فالنحو ومنه الصرف هو الذي يرشدنا إلى بناء الكلمات وتصريفها وبيان علاقاتها، وكان عبد القاهر نحوياً وبلاغياً استطاع بمقدرته النحوية والبلاغية أن يقدم نظرية النظم حيث يرى أن الألفاظ رموز للمعاني المقررة في الذهن وقد هدته بصيرته النافذة لهذه النظرية التي لم تحصر النحو في دائرة الإعراب والبناء والصحة والخطأ ، بل أكد فاعلية النحو في توضيح النصوص وتدقيقها، وتفسيرها، واستخراج طاقاتها ، وبيّن أن الإبداع النحوي يربط بين النظام الثابت (القواعد) والأداء المتغير ، ويؤكد أن إمكانات النحو تأتي من توحي معاني النحو فيما بين الكلم حيث يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ... (الجرجاني ، ص 55).

ومن هنا يذهب الباحثون المحدثون إلى أن عبد القاهر عرّف الأسلوب "لأنّ الأسلوب هو طرق الأداء، وطرق الأداء تأتي من استقلال إمكانات النحو والذي يستقلها هو الأديب الذي يختار وينتقي ما يروق له وهذا يدحض ما ذهب إليه بعض العلماء الذين نسبوا الأسلوب والأسلوبية إلى الغربيين فقط" (عبد المطلب 1984 ، ص 49) فقد برّ عبد القاهر المحدثين الذين تحدثوا عن النحو باعتباره عملية سابقة وقواعد صارمة تنتظم اللغة، لأنه يرى أن النحو داخل في عملية الصياغة ذاتها. ثم يرى عملية الإبداع تمر بمرحلتين هامتين تتمثل الأولى : في مرحلة الصواب والخطأ وهذه تختص بقواعد النحو، والأخرى تُعنى بالمزية والفضيلة حيث يقول: "ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو". وهنا يربط د. محمد عبد المطلب بين ما ذهب إليه عبد القاهر ، وما ذهب إليه المحدثون حيث يقول: "إن عبد القاهر يتعامل مع النحو على المستوى السطحي والمستوى العميق وهو نفس فهم من ينتمون إلى نظرية النحو التوليدي " تشومسكى" باعتباره أساس دراسة النص الأدبي" (عبد المطلب، ص 49). على ذلك فإن تخلي التركيب إلى آخر لا يعتمد على الصحة وحدها. مثل قول الشاعر سبيع بن الخطيم التيمي (الجرجاني ، ص74) وقد اورد البيت ابن المعتز لانه اشتمل على ناحية فنية جميلة:

سَأَلْتُ عَلَيْهِ شَعْبُ الْحَيِّ حِينَ      نَطَّ أَضْرَاهُ وَجُوهًا دَنَدَنِي

حيث قيل في تحليل البيت: " فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إذ ما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى، بما توحي في وضع الكلام من التقديم والتأخير، ونجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها" (عبد المطلب ص 32) ففي البيت استعارة مكنية في " سالت" لأن التي تسيل هي الأودية، فجعلت للناس، والتقديم في "عليه" التي تقدمت على الفاعل "شعاب" والتقديم و التأخير من مباحث علم المعاني الذي يعين

على تركيب الجملة تركيباً يتفق ومقتضى الحال، ومناطق الجودة في الكلام هو التخير النحوي بعينه أراد أنه مطاع في الحي، وأنهم يسرعون لنصرتهم حتى تجدهم كالسيول.

**نظرية النظم:** النظم من البحوث البلاغية التي كانت وليدة النظر في كتاب الله، وسبب إعجازه، ومؤسس النظرية "نظرية النظم" هو الجرجاني الذي يقول: واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو... "بمعنى أن الناظم ينبغي عليه أن يبتغي في نظمه علم النحو فينظر في وجوه كل باب من أبواب النحو وفروقه، حيث يقول عبد القاهر: "يجب أن ينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد المنطلق، ومنطلق زيد، والمنطلق زيد، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرج أخرج وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج فتعرف لكل ذلك موضعه، وتجيء به حيث ينبغي له، وتتنظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في معناه الخاص" (الجرجاني، ص 55) ويقول: د. أبو موسى "وهذا الأصل هو الذي دارت حوله دراسة الجرجاني في دلائل الإعجاز محاولاً إثباته وبيانه ورجوع المزية إليه" (أبو موسى، ص 125) ومما جاء في النظم دراسة الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، ودراسة الاستعارة والكناية وضروب المجاز، وعلى ضوء هذا رفض ما قاله بعض العلماء الذين أرجعوا المزية إلى اللفظ والآخرين الذين أرجعوا للمعنى، فأرجعها للنظم، وإن لم يغفل اللفظ ولا المعنى لأنهما ضمن النظرية وعلى ذلك فالنظم لا بد أن يكون موافقاً لقواعد النحو، ولا بد أن يكون دقيقاً بحيث ترتب المعنى التي نريدها في أنفسنا أولاً، ثم تختار الألفاظ التي تتفق مع هذه المعاني وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "كثيرة تلك المعاني التي نجد في نفوسنا ونجد أنفسنا مضطرين لأن نعبر عنها بألفاظ يفهمها المخاطب" (عباس، 2008، ص 86) ومن مباحث النظم الكثيرة التقديم وقد أفردنا أمثلتنا له لأنه كما يقول الجرجاني: باب كثير الفوائد جم المحاسن". وفي باب التقديم درس عبد القاهر النفي والإثبات والاستفهام وبين أن التقديم يكون لفائدة في كل حال وعنتف من قسمه إلى مفيد وغير مفيد في بعض الكلام: وأورد أمثلة كثيرة تؤيد ما ذهب إليه من ذلك قوله "ومما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم، أنك تقول: أقلت شعراً قط؟ رأيت اليوم إنساناً فيكون كلاماً مستقيماً... ولو قلت أنت قلت شعراً قط؟ أنت رأيت إنساناً أخطأت؛ لأن السؤال عن الفاعل الذي ولي همزة الاستفهام، ويصح: أقلت شعراً وأرأيت إنساناً اليوم بتقديم الفعل والسؤال يكون عن الفعل لأنَّ المسئول عنه يلي همزة الاستفهام. وهناك صور كثيرة رفضها عبد القاهر وبين ما تنطوي عليه من تناقض وهناك صور أثبتتها وبين المعاني البلاغية التي يفيدها التقديم، حيث إنَّ عملية التقديم والتأخير في نظام الجملة العربية ضرورية لإبراز المعاني الإضافية، فقد يكون التقديم للعناية والاهتمام كقوله تعالى: "وجعلوا لله شركاء" (الأنعام: 155) بتقديم لفظ الجلالة "الله" على "شركاء" للعناية والاهتمام. وقد يفيد التقديم الاختصاص كما في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" (الفاتحة: 5) فتقديم المفعول "إياك" على الفعل "نعبد" للاختصاص أي نخصك بالعبادة. وقد درس المعاني البلاغية التي يفيدها تقديم المسند إليه على المسند وهو الأصل أو تقديم المسند على المسند إليه، وتقديم المتعلقة...، كما عالج الحذف والذكر والتعريف والتكثير... وفادات كل.

وهذا ما عبر عنه البلاغيون بمقتضى الحال.

**القيمة الفنية لمعاني النحو:** يقصد بالقيم الفنية لمعاني النحو: المعاني الإضافية التي يصورها علم النحو، بأن يكون الهدف دراسة المعاني البلاغية التي يفيدها التركيب، دون النظر إلى موضوعية الفاعل والمفعول وإنما

الهدف من ذلك الإشارة إلى وجهها في نظم صحيح معين ، لأنّ مزية النظم متكاملة تفوق كل المزايا الجمالية ، وعبد القاهر باعتباره نحويّاً بارعاً يرفض أن تقتصر مهمة النحو على صحة التركيب من الناحية الإعرابية، و حول هذا المعنى يتفق معه كثير من العلماء حيث يقول أحدهم: " فالفعل أساس في الجملة ، والصفة والظرف تدلان على العلاقات المنطقية بين الأفكار أمثال الضمائر ، والحروف وأسماء الإشارة فهي روابط منطقية للدلالة ليس لها في ذاتها معنى عام"(مراد 1403 – 1983 ، ص 146) وهو ما قاله عبد القاهر في توكي معاني النحو : " وأمر النظم في أنّه ليس شيئاً غير توكي معاني النحو فيما بين الكلم" (الجرجاني ، 265) فالفعل يبحث عن الفاعل ، والصفة والظرف تدلان على العلاقة المتصلة بالفعل والاسم. وبعض الكلمات لا نحتاج إليها إلاّ في تقرير العلاقات المنطقية بين الأفكار، وهناك ألفاظ يحتاج إليها لتكميل الجملة مثل المتعلقة (الفضلة) التي لا تكون مسنداً ولا مسند إليه ، كالحال والتمييز والمفعولات، وبالنظم يتم التنوع في الأساليب التي تؤدي معاني بلاغية . ومن خصائص توكي معاني النحو أن تتحد أجزاء الكلام في بنه محكم لا اعوجاج فيه قاصدة معاني النحو لتي اهتم بها عبد القاهر واستخدمها استخداماً منطقياً حين أراد إثبات إعجاز القرآن الكريم، حيث بيّن أن الوظائف النحوية كوظيفية المبتدأ والفاعل... إلخ والتي قام منهج النحاة في وصفها على أفراد باب لكل وظيفة ، فمثلاً جمّة " جاء محمد مبتسماً " تفيد الإخبار بمجيء محمد مبتسماً فكلمة مبتسماً إعرابها حال والحال في حدود النحاة فضلة تبين هيئة ما قبلها من فاعل أو مفعول أو الاثني أو غيرهما، ويمكن أن يعدل عن التعبير السابق إلى أنماط أخرى مثل مبتسماً جاء محمد بتقديم الحال على صاحبها وعاملها، أو جاء مبتسماً محمد بتقديمها على صاحبها... إلخ ، وكل نمط من الأنماط السابقة يختلف عن غيره في الدلالة ، وقد عالج ذلك النحاة وفقاً لمنهجهم في وصف الظاهرة ووضع قواعدها حفاظاً على اللغة. فإذا لم يتوافق التركيب مع أصولهم وقواعدهم بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو ذكر أو تعريف أو تكثير... إلخ أو غير ذلك من مظاهر العدول سموه جانزاً وأحياناً شاذاً، وهذا ما قصده عبد القاهر من معاني النحو. حيث إنه لم يضع للكلمة المفردة إفادة. وذكر أنّها ما وضعت إلاّ لكي تأتلف مع غيرها مكونة الجمل فتفيد إفادات تتوقف على معاني النحو ووظائفه، ولهذا يقول : عبد القاهر "... إنّنا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم أنّ للكلمة المفردة سلكاً ينظمها وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض من غير توكي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا لكل محال دونه الإعجاز"(الجرجاني ، ص 265) فالعلاقات النحوية عنده نشأت من ترتيب الألفاظ بحيث يمثل كل منها باباً من أبواب النحو، ويكون لكل لفظ معناه المعجمي " اللغوي" ووظيفته النحوية وفي ذلك يقول عبد المطلب " فالنحو أصبح سر صناعة العربية فهو رابط الصيغ الذهنية، وهو الذي يساعد اللغة على تخطي كل الصعاب وصولاً إلى عملية الإبداع..." أصبحت وظيفة النحو ليس مجرد وضع ضوابط الخطأ والصواب في أواخر الكلمات إنّما الإبداع قد استأثر أيضاً بهذه الضوابط لتصبح الكلمة في غير موضعها خطأ" (الجرجاني ، ص 265)

**العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني:** تحدثنا فيما سبق عن علم النحو الذي أسس لضبط وصحة اللغة أمّا علم المعاني فهو أحد أقسام علوم البلاغة، مؤسسه عبد القاهر الجرجاني ، وقد وضع السكاكي تعريفاً له حيث يقول: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" (السكاكي 1402 – 1982 ، ص 247 – 248) ويظهر من التعريف أنّ موضوع علم المعاني هو دراسة العلاقة بين تراكيب الكلام ، و مقتضى الحال ، فكل حال يقتضي تركيباً فقد قال البلاغيون " لكل مقام مقال" والمطابقة بين تراكيب الكلام والحال يقتضى رصد ما يكون

من تأثير السياق ممثلاً في حال المتكلم والمخاطب وظروف الكلام ، وفي تأليف الكلام وتشكيله على أنماط متنوعة وفقاً للمقامات المختلفة. وعرف علم المعاني الخليلي القزويني حيث قال: " هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال (القزويني ، ص 24).

وقد أكد ما ذهب إليه الجرجاني الذي يرى أنّ النظم يقوم على نوعين من العلاقات التركيبية التي تعلق فيها الكلم بعضها ببعض وفق ما يقتضيه علم النحو، وجعل للعلاقات المزية في النظم لذا دعا إلي الفروق الدقيقة في الخبر، وقد حصر البلاغيون بعده علم المعاني في الأقسام الآتية: أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه والمسند والمتعلقات ، والقصر وأقسام الإنشاء ، والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والمساواة . وكلها ترتبط بأبواب النحو وتقود إلى المعنى النحوي الذي سماه علماء البلاغة بعلم المعاني هذا المصطلح برز في كتابات عبد القاهر ، والمعنى النحوي عند البلاغيين يمثل أحد مستويات المعنى فعلم المعاني هو أصق علوم اللغة بالنحو إذ إنهما يجتمعان في دراسة أحوال اللفظ العربي ، فالنحو يدرسها من حيث الصحة والجواز والوجوب والامتناع. أمّا علم المعاني فيدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال لأنه يتناولها من حيث كونها مطلباً بلاغياً يقتضيه المقام ، ويدعوه واقع الحال ويرى العلوي أنّ كلاً منها علم منفرد برأسه غير أنّ أحدهما مرتبط بالآخر ومحتاج إليه حيث يقول: " فالنحو ينظر في التراكيب من أجل تحصيل الإعراب لتحقيق كمال الفائدة وصاحب علم المعاني ينظر في دلالاته الخاصة وهو ما يحصل عند التركيب من بلاغة المعاني (العلوي 2000م ، ص 17) وقد قال د. السيد " لئن كان النحوي ينطلق في دراسة المبنى إلى المعنى فإنّ البلاغي ينطلق في دراسة المعنى مستقياً التراكيب الملائمة؛ والتراكيب الملائمة هي التي تقي بحاجات السياق . وقد أكد عبد القاهر في أكثر من موضع علي أهمية المقام وتأثير عناصره على المقال دلاليًا وتركيبياً بل يجعل مزايا النظم بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام. فالصلة بين النحو والبلاغة واشجة منذ عرف العقل الإنساني طريقه إلى التأمل في اللغة ، فالعلاقة بينهما تحكمها جهات من ألوان التقاطع... (السيد ، 1424 - 2004 ، ص 96) والنحو يمثل في طبيعته التركيبية مستوى الصحة والجمال والإبداع وترتبط به الأغراض البلاغية .

**إشكالية العلاقة بين العلمين:** العلمان يمثلان مستويين من مستويات النظام اللغوي ، لكل منهما غايته وحدوده التي ضبطها بها علماءه ، ولا إشكالية بينهما لأدّهما لا يتناقضان ولا يلتبسان ، بل يتكاملان ويتعانقان ولكن لكل حدوده فمثلاً السكاكي يقول في علم النحو " معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً " وعلم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام ، والعلوي نجده يجعل كل واحد علماً منفرداً برأسه غير أنّ أحدهما مرتبط بالآخر محتاج إليه، وفي رأينا أنّ لكل من النحاة وعلماء المعاني آراء أحدهما يكملها الآخر ، والشاهد نظرية النظم ، وقد أطلق بعض المحدثين دعوى باطله اتهموا فيها النحو بالشكلية والجمود من أولئك مصطفى الذي قال " المقصود الأهم من علم النحو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتراكيب" (مصطفى 1411 - 1992 ، ص 8) وقوله: " النحو دراسة القوانين التي بمقتضاها يأتلف الكلم ليكون الكلام" (مصطفى ، ص 8).

وهذه الرؤية التي رآها مصطفى ومن رأى رؤيته هي رؤية ملتبسة والدليل علي ذلك أنّ علماء النحو القدامى الذين منهم ابن جني " وعرفوا الإعراب بأنه الإبانة عن المعاني بالألفاظ" (ابن جني ، 1992 ص 35) ومعنى هذا أنّ النحاة كانوا يقصدون الوظائف النحوية في إطار التركيب وهذا هو الذي قاد إلى نظرية النظم التي انحصرت دراستها في التراكيب وهي نظرية أصيلة في علم المعاني نشأت لإدراك التراكيب والعلائق المكونة لها والارتباط



بين أجزاء الكلام وهذا هو الذي أقام عليه النحاة دراستهم للجملة وفي ذلك يقول السيد " وعناية النحوي بالتركيب واحتقاؤه بها أساساً تتمثل فيه قوانينه وضوابطه الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ... وهذا مهم في فهم طبيعة الدرس النحوي حتى لا يحاكم النحاة بغير هذا المنحى .. وحتى لا تشكل عناية النحوي بالتركيب ولا تلتبس بعناية البلاغي، فالبلاغي معنى بمقاصد التركيب ، والنحوي بحاله ولذا يتحقق التكامل في الدرس اللغوي" (السيد ، ص 73) العلاقة بين النحو وعلم المعاني قوية لا فكاك بينهما والمتكلم بالعربية لا يلقى الكلام جزافاً إذ ما يأتي به موافقاً المعاني التي يريدتها ، وشكل الكلام من تغيير أواخر الكلمات في العبارة ، أو تقديم بعضها أو حذفها ، أو تعريفها ؛ وراءه معاني قائمة في النفس . ولم يفهم هذه العلاقة بين العلمين بعض المحدثين الذين وسوا النحو بالشكلية وطالبوا بإرجاع علم المعاني إلى النحو . وقد رد كثير من المحدثين أقوال مصطفى ومن معه ، ونحن نرى رؤيتهم في أن علم المعاني وثيق الصلة بالنحو لكنه علم مستقل بذاته وذلك أن النحو يضبط تراكيب الكلام ، وعلم المعاني يتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان ، ويراعي مقتضى الحال ، ومناسبة المقال للمقام ولا يتحقق هذا إلا بعد مراعاة القواعد النحوية والوجوبية والجوازية ، وعلم المعاني كذلك يبنى على القواعد الوجوبية والجوازية وهي ما تحدث عند البلاغيين بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر ، أو نقل الكلمة عن معناها الأصلي إلى معنى آخر أو ما يسمى بالمخالفة وسماه المحدثون العدول والانزياح ... إلخ . فمثلاً الأصل في الاستفهام هو طلب العلم بشئ لم يكن معلوماً من قبل بأداة (عتيق، 1427 - 2006 ، ص 69). ويخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معان كثيرة ، والسياق والمقام هما اللذان يحددان المعنى ، فقد يقصد التقرير نحو قوله تعالى : (أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِ تَنَزَّاهُ يَا إِبْرَاهِيمُ) (الأنبياء ، 62).

وفي أغراض الخبر يقول د. أبو موسى " قد يجري الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب ، أي أن المتكلم لا يعتقد بهذا الواقع في الصياغة ، وقد يوافق ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب فلا يحتاج الخبر لتأكيد ، والبلاغيون يسمونه بالابتدائي" (أبو موسى ، 1408 - 1988 ، ص 84) وقد ينكر الخبر فيؤكد له حسب إنكاره إما بمؤكد واحد ويسمى الخبر طليئاً أو بمؤكدين فأكثر ويسمى الخبر إنكارياً ، وقد ينزل المنكر منزلة غير المنكر ، فلا يؤكد له الخبر والعكس . فهناك اتفاق وتمازج بين العلمين حيث إن النحو هو معرفة كيفية التراكيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى . أمّا علم المعاني هو معرفة خواص التراكيب المتصلة بالسياق ، ثم إن الهدف من النحو الاحتراز عن الخطأ في التركيب ، وعلم المعاني هدفه الاحتراز عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وعلم المعنى يتناول أصل المعنى أي ثبوت مكونات الجملة أي المسند والمسند إليه أي الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر ، وينطلق من المبنى إلى المعنى ، وعلم المعاني يتناول ما وراء المعنى مما يقتضيه سياق الحال ، فالحال قد يقتضي التقديم أو الحذف ... إلخ ، وينطلق من المعنى إلى المبنى ، وعلم النحو يهتم بالعادة الأساسية التي يعدها العلماء الأصل مثل المفعول به أصله التأخير من الفعل والفاعل جميعاً ويجوز أن يتقدمها أو يتقدم أحدهما ، وعلم المعاني يهتم دائماً بما خالف الأصل. أما من ناحية الخطأ والصواب فعلم النحو تضبطه القواعد أما علم المعاني فيضبطه السياق. والزمخشري الذي درس النظم عند من سبقوه - خاصة الجرجاني - واستوعبه وطبقه في كشافه لم يغفل الفرق بين علم النظم وعلم الإعراب حيث يقول: إن النحو وإن كان أنحى من سيبويه لا يصل إلى غرائب النكت ومستودعات الأسرار في كتاب الله إلا إذا برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني والبيان (الزمخشري (1980 - 1966 ، ص 98).

**المقام:** السياق انشغل به النحاة والبلاغيون، وما يرتبط به وما يحيطه من ملابسات تتصل بالمتكلم أو المخاطب أو ظروف الكلام، وهذا يدل على أن أنظارهم تنسم بالشمول والتجدد، ولا ننسى وقتهم عند المقام. نلاحظ ذلك في الكتاب لسببويه حيث قال: "لا يجوز أن تقول هذا أنت... لأنك تشير إلى المخاطب نفسه ولا تحتاج إلى ذلك وإنما تشير له إلى غيره" (سببويه، 1434، ص 141 ج1) وهنا الإشارة إلى المقام واضحة، ويجيز ابن جني حذف التمييز مراعاة للمقام حيث يقول: "...وذلك إذا علم من الحال حكم ما كان يعلم منها به وذلك قولك عدى عشرون واشترت ثلاثين (ابن جني ج 2، 378). أما السيد (السيد، ص 173) فقد سماه المقام الخارجي.

يمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال أمراً هاماً، فهو من الأمور التي كان لها أثرها في توجيه البحث البلاغي، وتجديد كثير من مساراته ويقول د. طبل: "الحال عندهم كان يرادف المقام، والصحيح أنهما لهما مترادفان ولكنه يكمل كل واحد منهما الآخر" (طبل، 1989، ص 51) وقد قال السكاكي محدداً بعض المقامات مشيراً إلى ضرورة تنوع الكلام "إن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكايه ومقام التهنية يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم..." (السكاكي، ص 73) ومن الأهمية بمكان ربط النشاط اللغوي بالسياق أو الموقف الاجتماعي إذا عزل الكلام عن موقفه الخاص كان ضرباً من الضوضاء والعبث لذا اعتمد المفسرون في كثير من الأحيان في تفسيرهم على أسباب النزول وملابسات الكلام، وواقع الحال، من ذلك قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: "إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ" (الزخرف: 81) "فمعني هذا الكلام، وما وضع له نظمه وأسلوبه نفى أن يكون الله خالقاً للكفر وتزويجه عن ذلك" (الزمخشري، ج 3، - ص 84)، ف قوله وما وضع له يدل على مراعاة المقام عند التفسير. ويذهب أحدهم إلى أن البلاغيين انطلقوا من النظر إلى التركيب على أساس موافقة الكلام لمقتضى الحال أو مراعاة المقام "لكل مقال مقام (السيد، ص 127) ويؤكد ذلك عبد القاهر الذي اعتمد على نوعين من العلائق التركيبية التي تعلق فيها الكلمة ببعضها ببعض وبينى بعضها على بعض وفق ما يقتضية علم النحو فالعلائق الدلالية تنشأ من التركيب وتترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس وجعل هذه العلاقات مزية للنحو.

**العدول:** العدول في اللغة من الفعل عدل عدولاً "عدل الشيء أقامه وسواه" (ابن منظور: مادة عدل) وهو يقضي بالحق، وعدل الرجل ربه بمعبود آخر بمعنى أشرك، ومن عدل شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك. وإذا مال شيء قلت عدلته وجاء في القاموس المحيط: "العدول: مصدر عدل، وعدل عنه يعدل عدلاً وعدولاً" "حادوا إليه عدولاً رجع (المعجم الوسيط، عدل). فهو الحيد والميل إليه وبسميه ابن الأثير رجوعاً (ابن الأثير، 1419 - 1998م، 135/2). واصطلاحاً الخروج عن الأصل، أي تجاوز النهج المؤلف المتعارف عليه. وخرق الصرف والقياس. ويعد تغيير الاتجاه مخالفة، وهو في البلاغة مخالفة الظاهر الذي هو أدق الأبواب مسلماً وأكثرها عمقاً، والمخالفة كما يقول عنها العمري "المخالفة وإن ذكرها البلاغيون في معرض حديثهم عن مقتضى الظاهر وهو باب من - علم المعاني - إلا أن لها أطرافاً في مواضع عديدة في علوم البلاغة" (العمري 1429 - 2008م، ص 15)، فالمتكلم عندما يتوخى مقتضى الحال فهو يحقق البلاغة والمخالفة عند البلاغيين تجرى في الكلام على أنواع: منها وضع الظاهر موضع المضمرة وعكسه، والانتقاة، والأسلوب الحكيم، والتعبير بصيغة من صيغ الأفعال عن صيغة أخرى، وتنزيل المتعدي منزلة اللازم وذكر ما أصله الحذف وحذف ما أصله الذكر كلها مخالفات. إذن مخالفة مقتضى الظاهر أن يسلك المتكلم طريقاً

غير الطريق الذي يقتضيهما ظاهره ، فينصرف الكلام عن الوجهة التي كان عليها حيث تُراد في التركيب، ما يدل على ذلك الاختلاف ، أو يدل العقل على أن ذلك انصرافاً أو تغييراً عن الأصل ، ويقول فيه العمري "ومخالفة الظاهر هي اشمال الكلام المركب على جزء مخالف في ظاهره لتنسيق ذلك التركيب، مراعاة لما يقتضيه الحال ويسمى أيضاً العدول"(العمري ، ص 11) والعدول موجود في أقسام البلاغة جميعها ، ويأتي لأغراض بلاغية، وبما أن علوم البلاغة لم تكن بمعزل عن النحو فقد عرف النحاة القدامى مثل سيبويه تقسيم الفعل حيث يقول: "أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع ولما هو ثابت لم ينقطع"(سيبويه ، 12/1) . وعلى ذلك قسم الفعل إلى ماضٍ ومضارع وأمر ، وقسمه بحسب الصيغة الدالة على الحدث مع ارتباطها بالزمن ، وخروج الصيغة إلى معانٍ تتجاوز زمنها الذي صيغت وبنيت عليه هو مناط دراسة البلاغيين ومقصودهم ، وتتعلق دراستهم للمخالفة بالوجوب والجواز ، والشذوذ ، ... إلخ، وبحثوا عن العدول في استعمال صيغة الأفعال مكان صيغة أخرى ، وما وراء ذلك من أغراض ونكات بلاغية. وأمثلة ذلك كثيرة نحو قائم زيد ، ومظهر العدول هنا تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ) لغرض التخصيص ، فالتركيب العدولية تقوم على المسند والمسند إليه والفضلات ، تقديماً وتأخيراً ، وذكراً وحذفاً ... وكل نمط يختلف عن الآخر في البنية والترتيب والدلالة ، وهذا يكسب اللغة مرونة واسعة ويكفل لمتحدثيها اختياراً وهو ما سماه المحدثون الأسلوب. فظاهرة الخروج عن الأصل تتغير في استعمالات اللغة فيجيء الخروج متبايناً من حيث الاتساع والانحراف.

ومن أمثلة العدول التعبير بالمضارع عن الماضي. من ذلك قوله تعالى ( قَدْ يَعْظُمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ ) (الأحزاب: 18) يقول في ذلك أحد الباحثين "إذ الفعل هنا لا شك في أنه مضى وإنما عبر عنه بصيغة المضارع للإفادة مما في معنى المضارع من الدلالة على التكرار والتجدد " ، وقد ذكر البلاغيون: أن التعبير عن المستقبل قد يخرج على مقتضى الظاهر ، وذلك في الأساليب الإنشائية في أمور منها الدعاء وغيره فيوتى بلفظ المضارع للدعاء وذلك لما في المضارع من معنى التجدد والاستمرار (القرظيني ، ص 95) قوله تعالى (إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْرَآكَ بِحُضْرِ اللَّهِ تَدْنًا بِسُوءِ قَوْلٍ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَىٰ نَؤَىٰ أَنِّي بِرِيءٍ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) (هود : 54) حيث عدل عن المضارع أشهد إلى الأمر أشهدوا فلم يقل "إني أشهد الله وأشهدكم بل عدل عن الصيغة التي بدأ بها إلى أخرى ... الخ" . ويلحق البيانيون بالعدول التعبير باسم الفاعل واسم المفعول عن الفعل المضارع أو الماضي . وذلك

لأنهما يشبهان الماضي في تحقيق الحدث من ذلك قوله تعالى (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ) (الطور: 7) أي ليقع ، عبّر عن المستقبل وهو يوم القيامة باسم الفاعل ، أما اسم المفعول نحو قوله تعالى (وَالسَّمَاوَاتُ سَطَوَاتٌ بِيَمِينِهِ ) (الزمر: 67) الشاهد في مطويات اسم مفعول بدلاً عن الفعل حيث انتقل الحديث إلى مشهد يوم القيامة فبدأ باسم المفعول ليبين أن ذلك الأمر متحقق لا محالة.

ومنه تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم ، وهذه ميزة للقرآن الكريم حيث إن من مباحث البلاغة المعروفة الإيجاز ، وفي استخدام اللازم إيجاز لأنه لا يستدعي مفعولاً ، كما أن العناية بالفعل دون مفعوله من أهم مباحث البلاغة ، وهذا كثير جداً في فواصل الآيات مثل يعلمون ، يعقلون ، يفقهون .. إلخ ، ومن ذلك قوله تعالى (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ) (البقرة : 17).

ومن صور العدول العدول في الدلالة بين المترادفات لتناسق السياق نحو قوله تعالى (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) (التكوير : 6)، استخدمت (سجرت) بدل (فجرت) ، ودلالة الفعلين متقاربتان لكن استخدام سجرت لسبب

إعجازي وبلاغي وتناسق بين الألفاظ الأخرى الموجودة في الآيات الكريمة . ومن صور العدول ورود الخبر خالياً ، ومؤكداً بمؤكد أو مؤكداً بحال المخاطب . ومن صور التعريف والتكبير ، والتقديم والتأخير ، ومن مظاهره التكرار الذي يعد عيباً لو لم يأت لفائدة بلاغية ، فإن كان لفائدة بلاغية كان وجهاً معجزاً مثل تكرار قوله تعالى (فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبُّكَ تُكَبَّرُ أَنْ ) (الرحمن: 13) من العدول استخدام بعض الحروف مكان الآخر كاستخدام هل بدل بلمزة أو استخدام على بدل في ... إلخ كما قال تعالى: (وَطَّهَّرَ آ وَطَّى الْفُلُك تَحْلُونَ) (غافر: 80) بدل (فيها) .

ومن صور العدول تحول الصيغ الصرفية من الجمع إلى الأفراد نحو قوله تعالى (سَيُجِئُ الْجَمْعُ وَوَلُونَ الذُّبُرُ) (القمر: 45) بدل الأدبار لمناسبة الفاصلة وحال المخاطبين ، وقد يأتي بالدلالة الزمنية تبعاً لخصوصية المقام وما يقتضيه فقد يعبر بالماضي عن المضارع ومن المبني للمعلوم للمبني للمجهول وهذا ما أكده عبد القاهر ودعى إليه وهو أن أنماط التراكيب وما يطرأ على هيئتها الإسنادية تنشأ من تحريك العناصر اللغوية من أماكنها وصيغها إلى أماكن جديدة ليس لها في الأصل، أو كما يقول عبد الحميد السيد: "إدخال عناصر أو حذفها أو فصلها عن بعض" (السيد، ص 127) وإدراك القيم الجمالية التي تنشأ من العدول في جميع صورته يستلزم استحضر وإدراك الأصل ليقاس عليه درجة العدول كما وكيفا، وإذا أراد المخاطب أن يجيد ويمتع المخاطب لا بد له من تجاوز الصحة النحوية إلى الصورة الفنية التي تتسم بالسمو والتجاوز وقد جعل بعض العلماء معاييراً للصور الفنية أشهرها: الانحراف الذي يتعلق بالدلالة الإسنادية والانحراف هو العدول وحسن التخيير النحوي الذي يرتقي بالأسلوب عن مستوى الصحة النحوية، ومطابقة مقتضى الحال ، وهي الهدف من الانحراف والعدول (طبل: ص 111) والانحراف الدلالي لا يقتصر على علم المعاني ، بل يتعداه إلى أقسام البلاغة الأخرى التي منها: الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، " لأن الكلمة المستعارة هي التي ترزحت دلالتها عما وضعت عليه لتضامها مع كلمة خارجة عن دائرة تواردها" ، وهذا يسميه المحدثون المفارقة المعجمية . أمّا القدامى فقد استخدموا مصطلح النقل حيث يقول ابن الأثير في الاستعارة هي: "نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طى ذكر المنقول إليه" (ابن الأثير، ص 142) ، ومن أبرز أنواع العدول تغيير صيغة الاسم إلى الفعل والعكس ، والسبب التخيير النحوي الذي يقتضيه المقام ، وذلك لأن أحدهما أكثر ملاءمة للغرض المسوق من أجله الكلام ، وفي ذلك يقول الجرجاني في فروق في الخبر: "... أي أنّ الفعل يفيد تجديد المعنى المثبت أما صيغة الاسم فإنها تفيد اللزوم والثبات في المعنى وهو لون من ألوان الفروق ، والوجه النحوية التي ترجع إلى المزية" (الجرجاني، ص 121) ، وقد سمي بعض العلماء العدول الانزياح الذي هو الخروج عن المألوف. ويقول أحد الباحثين " ويتخذ ذلك الخروج أشكالاً مختلفة فقد يكون حذفاً للقواعد أو استخداماً لما ندر من الصيغ...." (ابو العدوس: ص 180).

لقد وجهت الدراسة البلاغية لظاهرة خلاف مقتضى الظاهر توجهاً نحوياً جمالياً ، وليس كما يدعي بعض الباحثين بأن الدراسة وجهت توجيهاً نحوياً ليس جمالياً .

**النتائج:** توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

1. لا يمكن للأسلوب أن يقوم مقام البلاغة ، بل يتكاملان .
2. معاني النحو هي : المعاني الإضافية التي يفيدها السياق بسبب تقديم ، أو تأخير ، أو ذكر ، أو حذف ، مرعاة للمقام وثارة للمخاطب .

3. علم المعاني هو ألق علم البلاغة بالنحو ، لأنه يدرسها من حيث الوجوب والجواز والامتناع ، وعلم المعاني يدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال ، كالترغيب والترهيب .
4. لنظرية النظم قيم علمية وفنية كثيرة .
5. يعد العدول والمخالفة وسيلة من وسائل التجسيد للمعنى البلاغي ، وتدعيم المواقف والسعة الدلالية .

## التوصيات :

1. ربط البلاغة بالأسلوب وتوضيح أوجه التشابه والاختلاف بينهما عن طريق تحليل النصوص .

## المصادر والمراجع:

## القرآن الكريم

1. ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، 1419م - 1998م ، دار الكتب العلمية بيروت.
2. الجاحظ عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، بيروت ، دار الفكر ، ط1، 1388 - 1968م.
3. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه محمد التنجي ، الناشر : دار الكتب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1417 - 1997م.
4. ابن جني ابو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، 1952م.
5. الحديثي ، النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ط1، 1420 - 2000.
6. حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها ، مصر، مطابع الهيئة المصرية، 1973م .
7. حماسة محمد عبد اللطيف:
- أ-العلامة الإغريقية بين القديم والحديث ، ط1 ، مكتبة أم القرى ، الكويت 1984م.
- ب- النحو والدلالة ، دار الشروق، ط1 ، 1420 - 2000م.
8. الزمخشري محمود بن عمر ، القاهرة ، دار الفكر ، د.ت، مطبعة مصطفى الياس الحلبي 1380 - ط1966م.
9. السامرائي فاضل ، معاني النحو ، ج1، شركة العاتك للطباعة والنشر ط2 ، 1423 - 2003م.
10. السكاكي يعقوب ، مفتاح العلوم ، تحقيق أكرم عثمان ، ط1، دار الرسالة ، 1402-1982م.
11. السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق حامد بن أحمد البسيوني ، دار الفجر للتراث ، ط1 ، 1427 - 2006م.
12. سيبويه عثمان بن قمبر ، الكتاب ، الهيئة العامة للكتاب 1979م.
13. السيد عبد الحميد مصطفى ، دراسات في اللسانيات العربية ، دار الجامع للنشر والتوزيع، ط1 ، 1424 - 2004م.
14. شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة، د.ت.
15. طبل حسن ، المعاني في البلاغة العربية ، القاهرة ، مصر ، دار الفكر ، 1989م.
16. ابو العدوس يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ط1، 1427 - 2006م

17. عبد المطلب محمد ، البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.
18. عباس فضل حسن ، إعجاز القرآن ، الشركة العربية المتحدة 9-2008م.
19. العلوي حمزة ، الطراز ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2000م.
20. عتيق عبد العزيز ، علم المعاني، دار الإفادة العربية، ط1، 1427-2006م.
21. العمري غافر بن عرمان ، بلاغة القرآن الكريم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1429 - 2008م.
22. القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضل، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 1429 - 2008م.
23. ابن مالك ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار الفكر، لبنان بيروت 2002م.
24. أبو موسي محمد محمد:
- أ- خصائص التراكيب ، ط 8 مكتبة وهبة 1427 - 2006م.
- ب- البلاغة القرآنية ، مكتبة وهبة ، ط2، 1408-1988م.
26. مصطفى إبراهيم إحياء النحو ، ، ط2 ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي 1411 - 1992م.
27. مراد وليد محمد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية ، دار الفكر ط1 1403 - 1983.